الفصل السادس

عمليات ضد الموساد
الفضيحة التي هزت تل أبيب

obeikandl.com

obeikandl.com

فضيحة هزت تل أبيب

يسرائيل بير صديق بن غوريون

ومستشاره العسكري جاسوس سوفياتي

إنزعج (يسرائيل بير)[1] أو ببكه كما لقبه الناس أشد الإنزعاج لاستدعاء أيسر هرئيل له، فقد كانت الرسالة التي تسلمها منه فظة غليظة ... تعال إلى مكتبي:

وكان بير الذي أشتهر بأنه خبير في الشئون العسكرية وواحد من أقرب المقربين إلى بن غوريون شخصية بارزة في الحياة الإسرائيلية العامة.

وخرج يسرائيل بير من الجيش في عام ١٩٥٠ ليمتهن السياسة ولكنه حافظ على اهتمامه بالأمور العسكرية وعلى صلتُه بها وكان يُحضر اجتماعات رئاسة الأركان البالغة السرية ويحصل على ما يشاء من معلومات وكانت خطط الجيش ووثائق الدفاع ذات الأهمية القصوي تجد سبيلها إلى يده.. وفي عام ١٩٥٥ طلب منه أن يكتب تاريخاً رسمياً لحرب الإستقلال وخُصصت له غرفة في وزارة الدفاع ليقوم بأبحاثه فيها.

وشاعت شهرة بير بوصفه خبيراً حتى خارج إسرائيل وكان بير في جولاته ومحاضراته بالمانيا يُنبه جمهور الشبان المستمعين اليه أشد التنبيه إلى واجبهم تجاه وطنهم وإلى حاجة لجعل المانيا دولة ديموقراطية قوية في مواجهة الخطر الشيوعي القادم من الشرق.

واستحوذ بير على إعجاب قيادة حلف شمال الأطلسي الناتو في أوروبا للتحليلات البارعة التي قدمها عن الاستراتيجية اللازمة في حالة نشوب حرب برية في أوروبا وقد اثني عليه موظفوا وزارة الدفاع الفرنسية علانية لتفهمه الواسع المدى لمختلف الشئون العسكرية.

---

(١) يسرائيل بير: عمل جاسوساً للمخابرات المصرية لمدة ١٥ سنة دون أن يدري من خلال علاقته بفتاة اسمها ريتانا من (موسكو) التي كانت تقدم له الخمور حتى الثمالة، وتقوم بتصوير الأوراق ونقلها للمخابرات المصرية.

ولم يكن من المستغرب إذن أن ينزعج بير عندما استدعاه ايسر بخشونة ذات مساء من خريف ١٩٦٠ إذ لم يبد أيسر هرئيل من الإحترام ما يتفق مع مكانته البارزة.

ولم يقم بير بأي جهد لإخفاء إنزعاجه عندما مشي في مكتب ايسر والسيجار في فمه ثم ألقى نفسه في الكرسي المقابل لمكتب رئيس الموساد ونفض بير الرماد عن سيجارة بنقرة من إبهامه تدل على إزدراء ثم انحنى في كرسيه إلى الامام وقال ببساطة لندخل في صميم الموضوع فأنا مستعجل.

وحدق ايسر إلى العينين اللتين لا تطرفان في رأس البروفسور الأصلع وكانت جميع ملامح وجه الزائر ذي الشارب الأصفر المميز الذي بدت فيه آثار رماد السيجار تشير إلى الإحتقار الموجه إلى هرئيل ولكن هذا لم يكن ممن يفزعون بسهولة فواصل التحديق إلى وجه بير وهو يوجه إليه سؤالين موجزين قصيرين.

لماذا واصلت زيارتك إلى برلين الشرقية ولماذا سافرت إلى بولندا؟

وظهر أيسر بمظهر الديكتاتور الذي يتخذه أحيانا ورفع صوته قائلاً: ألم أحذرك قبلاً من الإختلاط بالشيوعين؟

وضرب المنضدة التي أمامه بقبضتيَّ يديه بشدة وصاح: إنني أحذرك يا بير وأمنعك من السفر إلى أوروبا.

وعندئذ وثب البروفسور على قدميه غاضباً فلم يكن أحد حتى بن غوريون نفسه يجرؤ على التحدث اليه على هذا النحو وأجاب صائحاً:

اهتم بشئونك الخاصة فسوف أشكوك إلى رئيس الوزراء بل سأشكوك إلى الحزب أيضا.

وعندئذ اندفع خارجاً من مكتب ايسر وانقضت عدة دقائق ورئيس الموساد يفكر في صمت فقد كانت الشكوك تُساوره بشأن "إسرائيل بير" عدة سنوات.

فقد كتب سلسلة من المقالات المعادية لأمريكا في أثناء الحرب الكورية وكان ايسر يعلم أن بير برغم إنضمامه إلى حزب بن غوريون المباي الان كان منتمياً فيما مضي إلى جماعه المابام وهي الجناح اليساري الأكثر تطرفا وكان للبروفسور نشاط

قوي في مناصره الشيوعية آنذاك مما أدى به إلى تلك الجماعه أخيراً ولم ينضم إلى التحالف الحاكم برئاسة بن غورين إلا متاخراً وأصبح نهجه الجديد هو قل يعيش بن غورين ثم إفعل ما تشاء.

ولم يكن ايسر ليحارب بير على إنتمائه السياسي ولكنه كان يعجب لقدرة الرجل على تغيير إنتمائه على ذلك النحو السريع الحاسم. أما رئيس الموساد فلم يكن منتمياً إلى أي حزب ولكنه يعي ما يعتقده وعياً تاماً، وكانت انتهازية الرجل تثير الشكوك في نفسه.

وبعد رحيل الخبير العسكري المفاجئ انزعج ايسر الجالس في مكتبه مرة أخرى لشيء قاله ألا هو التحذير الذي وجهه بير حال مغادرته بقوله سوف أشكوك إلى الحزب فما الذي يقصد بذلك ؟ كان بير يعلم أن ايسر لا ينتمي إلى أحزاب.

وكانت الطريقة شديدة اللهجة التي تحدث بها البرفسور "بير" إلى أيسر هرئيل.. فلم تكن هذه الكلمات بمثابة مفاجأة وبدا هذا التحذير الصادر عن رجل اعتاد تمثيل شخصية المحلل المنطقي البعيدة عن الإنفعال وبرزت ملامح التعقيدات الفكرية الذي تميز به "بير".

وتملكت أيسر حالة من الإنزعاج الشديد بشأن "بير" فكان من الضروري إطلاع بن غوريون ونقل شكوكه إليه.. ولكنه ظن بأن شكوكه هذه قد تُأخذ على أنها غيرة من شخصية "بير" لشهرته ونفوذه.. فلم يتراجع أيسر عن قراره، فذهب لمقابلته وإخباره عن شكوكه تجاه "بير" وقال: يقوم بير من زمن بجمع معلومات عسكرية لا تتصل به في شيء وهو يزور المدن الشيوعية في رحلاته إلى أوروبا، وتربطه صداقات كثيرة مع الدبلوماسيين الروس العاملين في إسرائيل الذين يقابلهم كثيراً.

وقد بدت في حياة بير الاجتماعية بعض الجوانب الغريبة مؤخراً فهو ينفق أموالاً طائله تزيد عما يكسب في ملاهي تل أبيب وعندما كان في ميونيخ مؤخراً دفع مبلغ ٢٠٠ دولار دون أدنى اهتمام وقد كان يشتري لنفسه ولعشيقاته ومنهن من يشك في سلوكهن، ملابس غالية الأثمان أما علاقته مع زوجته رفكا فهي سئية جداً وهو

يقضي لياليه يعاقر الراح في الحانات كحانه اتوم في شارع بن يهودا وكان صوت ايسر مفعماً بالغضب لفساد أخلاق بير فهو لم يعرف الإنغماس في هذه الرذائل طيله حياته.

وقال ايسر: من الجلي عندي أن بير يعاني من إجهاد ما هو إجهاد العميل الذي يمثل دورين في الحياة ومنذ وقت قريب تورط في فضيحة عامة فقد هاجمه زوج إحدى عشيقاته ووجه إليه لكمات في وجهه وهشم بعض أسنانه.

وكان بير قد أخبر رئيس الوزراء بأنه فقد تلك الأسنان في حادث سيارة واختار بن غوريون تعليله ذلك على ما قاله ايسر وبقى راسخاً في عدم الإقتناع بدعاوي ايسر.

ورد بن غوريون بهدوء: من واجبك أن ترتاب في كل شخص كائناً من كان أما أنا فثقتي مطلقه بهذا الرجل.

وانتهت المقابله بينهما بذلك ولكن المسأله بقيت قائمة لدى ايسر فأمر عملاؤه بتشديد الرقابه على بير وأخذ فريق التحري يُنقب في ماضيه للتأكيد من وجود جوانب مُريبة أو انصاف حقائق في سيرة حياته كما أخبر أصدقاءه وزملاؤه.

كان ايسر يسعى للتحقيق من تخميناته المشهورة.

وفي عام ١٩٩١ ليلة ٢٨ أذار وبعد حوالي ثمانية أشهر من المواجهه الدرامية التي تمت بين ايسر هرئيل وبين إسرئيل بير في مكتب رئيس الموساد كان اليهود يحتفلون بعيد الفصح وهو أحد من أخصب الأعياد وأحبها إلى اليهود ففيه يحتفلون بالخلاص من العبودية في مصر وفي منازل اليهود في جميع أرجاء العالم تجلس العائلات حول الموائد لتناول (السيدير) وهي وجبة عيد الفصح التقليدية التي تتلى معها حكاية الخلاص.

في الساعة الثامنة من ذلك المساء خرج رجل من شقته الواقعه في ٦٧ شارع براندیس في تل أبيب وكان المساء دافئاً ولكن النسيم العليل الذي يهب من البحر الأبيض إلى الشاطئ حمل ذلك الرجل إلى تزرير معطفه وكانت في يده حقيبة أوراق جلدية.

واسرع الرجل خطاه في الشارع الخالي من المارة وهو يلتفت من حوله كما لو أراد التأكد من أن أحداً لا يقتفي خُطاه واستدار جانبي وتوقف قليلا في ظل كابينة للهاتف وكان يهلث آنذاك بالرغم أنه لم يبتعد أكثر من ٢٠٠ متر عن شقته التي خرج منها وتوقف لحظات قليلة لإلتقاط أنفاسه ثم يلفت من حوله مرة أخرى وعندما تأكد بعدم ملاحقته أحد في الجوار انطلق متجهاً إلى الشارع فخفض قليلاً نحو مقهى صغير يقبع في إحدى زوايا الشارع.

وسعد صاحب المقهى الذي كان يجلس وراء الباب بمشاهدة أول زبون يراه في ذلك المساء وطلب هذا الزبون زجاجة كونياك ومضى بها إلى منضدة في زاوية الحانه بعيداً عن أضواء الشارع الساطعه ووضع حقيبة أوراقه الجلدية على مقعد مجاور وعندما حاول صاحب المقهى بأن يتجاذب الحديث مع الزبون .. عندها أشار إليه بعدم رغبته في ذلك، ومضى يحتسي الكونياك في صمت ثم أشعل الرجل سيجارة ونظر بقلق إلى ساعته.

وبعد خمس دقائق دخل رجل آخر للمقهى وكان يرتدي بدلة سوداء قاتمة وعلى رأسه قبعه ذات حافه عريضة وبعد أن لوح بيده للزبون الجالس إقترب منه وجلس على كرسي مقابل له حول المنضدة.

ولم يتبادل الرجلان شيئاً من الحديث وبعد لحظات من الجلوس نهض الوافد وخرج من المقهى.

وفي يده كانت اوراق الرجل الاخر وبعد ثوان معدودات نهض الزبون ودفع ثمن الشراب وبدون أن ينبس ببنت شفة غادر المقهى، ليلفه الليل في حين شرع صاحب المقهى في كنسه وتنظيفه وفي الخارج تلفت الرجل الطويل حوله مرة أخرى قبل أن يسير نحو منزله.

وعاد أدراجه في الطريق الذي جاء فيه وإن كان صفر اليدين الآن.

وعندما بلغ الرجل الطويل باب المبنى الذي تقع فيه شقته دخل منه دون أن يكلف نفسه عناء التلفت فيما حوله كان مطمئناً إلى أن أحداً لم يتعقبه وبعد أن صعد الدرج

المؤدي إلى شقته دخل فيها واتجه صوب مكتبته التي تعمر جدرانها كتب من عدة لغات وهناك جلس يرتقب.

منتصف الليل صوت سيارة مسرعة يمزق سكون الليل في ذلك الشارع وعند رقم ٦٧ أوقفت السيارة ونزل الرجل الغريب ذو القبعة وهو الرجل الثاني الذي زار المقهى القريب قبل بضع ساعات.

وكانت في يده حقيبة الأوراق التي اخذها من صاحبه وسار هذا الرجل إلى باب المبنى رقم ٦٧ ودخل بدون أن يطرق على الباب ومن الواضح أن قدومه لم يكن مفاجئاً وأنه لم يتوقع المكوث طويلاً فقد ترك محرك سيارته بدون توقف.

دق جرس الهاتف في منزل ايسر هرئيل وتناول ايسر السماعه على الفور فقد كان ينتظر هذه المكالمه التي عرف فيها صوت واحد من كبار عملائه ولم يكن من داع للإعتذار عن المكالمة في ليله العيد تلك.

جرت مقابله بين رجلنا وبين رجل الاتصال الروسي للمرة الثانية في هذا المساء فقد تقابلا في المقهى الصغير الذي تعرفه وكان مع رجلنا حقيبة أوراق سلمها إلى رجل الاتصال ثم افترقا.

وقمت بتعقب خطى رجلنا حتى المنزل وأنا الآن في خارج المكان وقد دخل الرجل الروسي قبل لحظات ومعه حقيبة الأوراق التي تسلمها في المقهى وهو مع رجلنا الآن في الداخل.

وكان ايسر بالغ القلق ولكنه لم يفاجأ بما حدث فرقم ٦٧ شارع براندیس هو عنوان إقامه إسرائيل بير.

قرر ايسر أن الوقت قد حان ليضرب ضربته ولكن ينبغي أن يتم كل شيء بطريقه صحيحة وبارعة فإلقاء القبض على البروفسور الآن وهو متلبس بتسليم الوثائق إلى أحد الدبلوماسيين السوفييت الذي عرف عنه أنه من أكبر جواسيس روسيا في إسرائيل سيكون له إنعكاسات دولية ربما إلى إسقاط حكومة بن غوريون.

وقرر ايسر الانتظار حتى يغادر الدبلوماسي منزل بير قبل الشروع في العمل وفي أثناء ذلك طلب من عميله الحصول على أمر بالتفتيش في منزل إسرائيل بير واعتقاله.

ينبغي أن يتم كل شيء بصورة قانونية أو لا يحدث البتة.

وبعد أن وضع ايسر سماعة الهاتف رفعها على الفور مرة أخري واتصل بن غوريون لم تستغرق محادثهما أكثر من عشر دقائق قال فيها ايسر سألقى القبض على إسرائيل بير هذه الليلة وتردد بن غورين لحظة ثم قال: قم بواجبك وانتهت المحادثة بذلك.

كانت الساعة تشير إلى منتصف الثالثة في الصباح وإسرائيل بير جالس يقرأ في مكتبه وحقيبة الأوراق ملقاه على المنضدة القريبه في الموضع الذي تركها فيه بعد مغادرة زائره دون المساس بشيء من محتوياتها وفجأة طرقة على الباب.

وقبل أن يتمكن بير من إخفاء الحقيبة أو حتى النهوض من كرسيه العتيق إنكسر الباب وكانت ضربة وحيدة كافية لخلعه من مفصلاته.

وإندفع صف من سبعة رجال في داخل الشقة ووقفوا من حول بير الذي كان يجلس متجمداً في كرسيه وقال أحدهم بهدوء: إنك معتقل الآن ولدينا أمر بتفتيش الشقة.

وشاهد بير الضابط يوجه بصره إلى الحقيبة وأجاب بهدوء بتلك الكلمات التي تفوه بها بن غورين قبل ساعات في المكالمة الهاتفية مع هرئيل "قم بواجبك".

وكان بير يعلم حق العلم من هو ضابط الاستخبارات المضادة الذي تحدث إليه فقد كان يعرف اسمه الشخصي منذ عدة سنوات ولم يزد على أن قال: هل تمانع في أن أدخن ؟

كان ضابط الموساد المسئول عن اعتقال بير يعلم أنه يتعامل مع رجل من أبرز شخصيات البلد فقد كان بير محاضراً في مدرسة الجيش التي تدرب فيها الضابط وكان كولونيلاً في الإحتياط ومستشاراً ناصحاً لوزارة الدفاع ورئيس الوزراء نفسه وقد أحس الحاضرون بالصدمة جميعاً إذ لم يكن العملاء يصدقون أن الرجل الذي

قدموا لاعتقاله إنما كان واحدا من جواسيس السوفيات ألا يمكن أن يكونوا مخطئين في شأنه لقد كانوا يتمنون ذلك.

بيد أن شكوكهم مهما كان أمرها سرعان ما تبددت عندما فتح الضابط الحقيبه الجلد التي كانت ما تزال على المنضدة القريبة من بير وفي داخل الحقيبة شاهد الضابط عدد من الوثائق البالغه السرية ومنها قائمة مفصلة لمصانع الاسلحة الكبري في إسرائيل وفوق ذلك كله شاهدوا مفكرة بن غورين الخاصة التي استعارها البروفسور حين عبر له عن رغبته في كتابة سلسلة من المقالات عن فلسفة بن غوريون في القيادة والحكم ولم تكن هذه المفكرة تحتوي على أكثر أفكار بن غورين الخصوصية فحسب بل كانت تحتوي فوق ذلك على أعدد من أسرار الدولة التي كان وزراء الحكومة يجهلون بعضاً منها عندما قدم ايسر هرئيل مفكرة بن غوريون إليه علق أن الحادث كان أليم الوقع علي نفسه وقد أحجم ايسر عن الإشارة إلى أنه أعرب عن ارتيابه من بير في وقت مبكر يعود إلى ١٩٥٣ ومن الأمور التي تسجل له ولموشيه دايان أن كلاهما قد قاوم رغبة بير في الإلتحاق بالجيش وأن بير قد اتكأ على صدقاته للوصول إلى جمع الوثائق الهامة بالجيش.

اطمأن ايسر الآن إلى أن بير كان يعمل لصالح موسكو لعدة سنوات ولكن إصراره أثناء مراحل الإستجواب الأولى لم تصل معه بشيء ولم يغير طوال فترة الإستجواب بل كان يتباهى بسيرة أصدقائه وزملاءه لعدة سنوات.

وفقاً لرواية بير عن سيرة حياته ولد في فيينا عام ١٩١٢ وهاجر والده إلى الولايات المتحدة ولكنهما عادا إلى أوروبا بعد وقت قصير، ودرس بير الإنسانيات والأدب الألماني في جامعه فيينا حيث تتلمذ كما زعم على يد ماكس راينهادت رجل المسرح المعروف، وفي أثناء دراسته بالجامعه انضم إلى الطلاب الذين تمردوا ضد الديكتاتور انغلبرت دولفوس واشترك في حرب الشوارع ضد النازيين في عام ١٩٣٤ وتدرب بير في أكاديمية فينزنويشنات العسكرية كما قال وأصبح ضابطاً في الشوتسبابد أو حلف الدفاع النمساوي.

وفي عام ١٩٣٦ كما قال بير ذهب إلى اسبانيا للقتال إلى جانب لواء الأمميين ضد الفاشيين في الحرب الأهلية الأسبانية وقد خوله تدريبه العسكري أن يصبح مدرباً هناك وتعرف بير على جميع كبار العسكريين الشيوعيين واشترك معهم في معركتي مدريد وغوادا لجارا الشهرتين وساهم بير أيضا في معركة تيرول الضاربه وفي اوائل عام ١٩٣٨ حين تبين أن الحرب ستكون خاسرة هرب من أسبانيا وطلب منه السفر إلى موسكو ليلتقي تدريباً اضافياً ولكنه بدلاً من ذلك عاد إلى فيينا حيث تأثر بالفكر الصهيوني بعد وقت قصير صح عزمه على الهجرة إلى فلسطين وقال بير لأسرته متحدياً: هذه هي قصة حياتي مثلما تعرفون جميعاً.

وفي ذلك اليوم الرابع من بدء الإستجواب زاره ايسر هرئيل وكان هذا يعلم أن السجين لا يبدي أي تعاون من جانبه فدبر شيئاً ما لمواجهته.

وحدق هرئيل إلى عيني بير كما فعل في لقائهما الأول قبل عدة أشهر وقال له في نبره هادئة وعنيدة في الوقت نفسه:

أنا أعرف أنك جاسوس سوفييتي أخبرني بالحقيقة إذا تعاونت معنا فسوف تسهل الأمر على الجميع وعلى نفسك أيضاً، أخبرني حكايتك الحقيقية وفي مواجهه هذا التحدي أعاد بير القصة ذاتها مرة أخرى حتى إذا فرغ منها قال له هرئيل بهدوء "كذاب" ولم نجد أي أثر لوالديك في النمسا ولو كانا يهوديين نموذجيين كما تدعي فلماذا لا تكون "مختونا".

لقد فحصنا جميع السجلات النمساوية فتوصلنا إلى أنك لن تقاتل في متاريس الشوارع ولم تحصل على شهادة الدكتوراة كما تدعي بل إنك لم تدرس في الجامعه ثم إنك لم تذهب إلى الأكاديمية العسكرية فقد كان هذا محظوراً على اليهود آنذاك وقد طلبنا دراسة قوائم الأسماء فلم يعثر على اسمك فيها وليس اسمك موجوداً في قوائم الشوتسبابد كذلك.

ونقبنا في سجلات لواء الأمميين ولم نعثر على اسمك فيه إنك لم تحارب قط في أسبانيا والواقع إنك لم تساهم في أي حملة عسكرية في أي مكان من العالم.

والآن قل لي: من أنت ؟ أخبرنا الحقيقة.

واتضح لـ "بير" أن الموساد قد عري زيف إدعاءاته فانهار وفي الأيام الثلاثة التالية أملى تقريراً وافياً بنشاطاته التجسسية.

وكان هرئيل قد اشتبه في أن موسكو قد نشطت بير بعد حملة السويس في عام ١٩٥٦ وألحت عليه في تلك الفترة في تقديم أية معلومات يمكنه الحصول عليها وعندما كانت فرنسا تزود إسرائيل بالأسلحة التي اشترتها إسرائيل من ألمانيا كما أنه جمع ما استطاع من المعلومات عن دور ألمانيا في حلف الأطلسي الناتو في أثناء سفره إلى ألمانيا وكانت أبحاث بير العلمية الخاصة في التكنولوجيا النووية خصوصاً أحد الموضوعات التي يحتمل أن يكون رؤساء بير في موسكو قد طالبوه بتقديم معلومات عنها.

وبقى بير يمزج الحقيقة والوهم حتى في أثناء بوحه بإعترافاته فقام عملاء الموساد وحلفاؤهم في إسرائيل وأوروبا ومنها البلدان الشيوعية بالتحقق من كل كلمة تفوه بها وأثبت البحث الدؤوب الذي قاموا به بطلان الكثير من إدعاءاته.

بدأت محاكمة بير في حزيران ١٩٦١ وأدت طبيعة الكثير من الأدله في القضية إلى بقائها سراً وكذلك بقيت بعض اعترافاته بشأن الطريقه الدقيقه التي نقل بها المعلومات إلى موسكو سراً مكتوماً حتى يومنا هذا ومن المعلوم على كل حال أنه قد نقل للروس خططاً عسكرية تتصل بتكتيك القتال كما نقل قوائم عن منشآت عسكرية سرية فضلاً عن معلومات حول من يزودون إسرائيل بالأسلحة من الجانب.

وفي أثناء المحاكمة دافع بير عن نفسه بأنه فعل ما فعله لاعتبارات وطنية وقال: لقد شعرت بإن من واجبي المساهمة في إنقاذ إسرائيل من الوقوع في قبضة القوي الغربية.

واعتقد أن على إسرائيل التحالف مع البلدان الشيوعية وأنا لم أخن إسرائيل قط وإنما كانت جميع جهودي رامية إلى إبعادها عن الطريق المؤدي بها إلى كارثة.

التجسس الإسرائيلي لا يزعج البيت الأبيض

قنبلة جديدة غير مدوية تفجرت في العلاقات الأمريكية الأسرائيلية وتم احتواؤها بين مسؤولي الطرفين إنها قنبلة الحكم على الجاسوس الإسرائيلي الأمريكي جوناثان بولارد الموظف في البحرية الأمريكية والصادر عن محكمة أمريكية في واشنطن بالسجن مدى الحياة بسبب تسريبه معلومات أمريكية عن القوة العسكرية العربية والسوفييتية إلى إسرائيل كما حكمت على زوجته الن بولارد بالسجن خمس سنوات لمساعدة زوجها في نقل معلومات سرية إلى العدو الصهيوني.

وجاء في مذكرة وزير الدفاع الأمريكي كاسبار واينبرغر إلى المحكمة أن الجاسوس اليهودي الأمريكي أكد أنه يشعر وكأنه طيار إسرائيلي وأن ولاءه هو أكبر من ولائه لأمريكا.

والذين تابعوا قضية بولارد خصوصاً من المسئولين الأمريكيين يدركون أن الوثائق السرية التي نقلها بولارد إلى إسرائيليين تكفي لشغل المخابرات الإسرائيلية لزمن طويل آت وكما كشفت التحقيقات فإن هذا اليهودي الأمريكي كان يمد إسرائيل بانتظام بمعلومات أمريكية غاية في السرية تتضمن أسراراً لصنع القنابل النووية والشفرة السرية للأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط وكل تفاصيل المعلومات الأمريكية عن أسرار تسليح وإمكانيات مصر والأردن والسعودية.

وهذه الفضيحة التجسسية لم تخجل إسرائيل وإن حاولت دبلوماسياً وحتي لا يغضب الشعب الأمريكي التقليل من آثار الفضيحة فقد صرح أربيل شارون بأنه ليس لدى الولايات المتحدة ما تقوم به إسرائيل وإنما العكس هو الصحيح وأنه يكفي أن إسرائيل هي التي ساعدت أمريكا طوال سنوات قيامها بما يساوي ١٢٦مليار دولار في النفقات العسكرية ومن بينها معلومات تجسسية تساوي ٢٨ مليار دولار أعطتها إسرائيل إلي الولايات المتحدة عن السوفييت والعرب في سياق تبادل المعلومات.

وقد أكد مسئول في الاستخبارات الإسرائيلية "نحن قادرون على أن نحصل على ٩٥٪ من المعلومات التي نحتاج إليها من الولايات المتحدة".

وكشف كتاب جواسيس نهاية العالم للمؤلف مايكل سابا الذي صدر في الولايات المتحدة عام ١٩٨٤ حقائق ومعلومات واقعية مدعومة بالاسماء والوثائق عن المافيا الصهيونية في الإدارة الأمريكية وأساليب عملها في سرقة أخطر الأسرار من البنتاغون وتزويد إسرائيل لها.

ففي آواخر الخمسينات وأوائل الستينات إختفت كميات هائله من اليورانيوم من المختبرات الأمريكية ولم تحرك الأدارة الأميركية ساكنة رغم علمها بأن عملاء إسرائيل داخل الولايات المتحدة هم الذين سرقوا هذه الكميات لتعزيز الصناعات الذرية في الكيان الصهيوني.

obeikandl.com

أشهر جواسيس الموساد الإسرائيلي في مصر

محمد إبراهيم كامل الملقب بـ "ماريو"

خسر ورشته على الراقصات فكان الموساد ملازه

منذ أن تفتحت عيناه على ضجيج الحياة في حي محرم بك المزدحم ذاب عشقاً في جرس الترام.. الذي كلما ملأ أذنيه خرج إلى الشرفة يبتسم في انبهار وحيرة.. فنشأت بينه – منذ طفولته – وبين الترام قصة غرام دفعته للهرب من مدرسته.. والسعي وراءه راكباً لجميع خطوطه المختلفة ومحطاته.. ولم يدم هذا الحب كثيراً إذ اندفع فجأة نحو السيارات فالتصق حباً بها.. والتحم عقله وقلبه الصغير بموتور السيارة مستغرقاً وقته كله.. حتى أخفق في دراسته الابتدائية.. وأسرعت به خطاه إلى أول ورشة لميكانيكا السيارات يمتلكها إيطالي يدعى الخواجة "روبرتو" الذي اكتشف هذا الحب الجارف بين الولد والموتور فعلمه كيف يتفاعل معه؟! ويفهمهُ ويستوعبهُ.

ولم تكد تمضي عدة أشهر فقط إلا وكان محمد أشهر صبي ميكانيكي في ورشة الخواجة "روبرتو".. كانت السيارات تقف موازية للرصيف بجوار الورشة بأعداد كبيرة. . تنتظر أنامل محمد الذهبية وهي تداعب الآلة المعدنية الصماء.. وتمر بين أجزائها في تناغم عجيب فتعمل بكفاءة ويتحسن صوت "نبض" الموتور.. ويزداد الصبي شُهرة كل يوم.. ورغم محاولات البعض استدراجه واستثمار خبرته وشهرته في عمل ورشة "مناصفة" بعيداً عن روبرتو، أُجبروا على أن يتعاملوا معه كرجل لا كصبي في الخامسة عشرة من عمره.. وكثيراً ما كان ينزعج عندما كان يخرج إلى الكورنيش مع أقرانه بسبب توقف السيارة ودعوة أصحابها له ليركب حتى منزله، فكبرت لدى الصبي روح الرجولة وارتسمت خطوطها المبكرة حيث كان مبعثها حبه الشديد للعمل والجدية والتفكير الطويل.

وبعد عدة سنوات كانت الأحوال والصور قد تغيرت.. صار الصبي شاباً يافعاً خبيراً بميكانيكا السيارات. تعلم اللغة الإيطالية من خلال الخواجة روبرتو والإيطاليين المترددين على الورشة وأصبح يجيد التعبير بها كأهلها.. فأطلق عليه اسم "ماريو".

وعندما طاردتهُ نظرات الإعجاب من "وجيدة".. دق قلبه بعنف وانتبه لموعد مرورها أمام الورشة حين عودتها من المدرسة.. فواعدها والتقى بها ولم يطل به الأمر كثيراً.. إذ تقدم لأسرتها وتزوجها بعدما أقنعتهم رجولته وسمعته الحميدة وشقته الجميلة في محرم بك..

ثمانية أعوام من زواجه وكانت النقود التي يكسبها تستثمر في ورشة جديدة أقامها بمفرده.. ومنذ استقل في عمله أخذ منه العمل معظم وقته وفكرهُ حتى تعرف على فتاة قاهرية كانت تصطاف مع أهلها بالإسكندرية وأقنعها بالزواج.. ولأنها كانت ابنة أسرة ثرية فقد اشترى لها شقة في الدقي بالقاهرة وأثثها.. وأقام مع عروسه "تغريد" لبعض الوقت ثم عاد إلى الإسكندرية مستغرقاً في عمله متنقلاً ما بين "وجيدة" "وتغريد" ينفق هنا وهناك.. وعندما توقف ذات يوم على الطريق الصحراوي بالقرب من الرست هاوس بجوار سيارة معطلة.. أعجبته صاحبة السيارة ودار بينهما حوار قصير.. على أثره ركبت معه السيارة الرائعة إلى القاهرة.. وفي الطريق عرف أنها راقصة مشهورة في شارع الهرم.. سهر معها في الكباريهات وتنقل معها هنا وهناك.. ثم اصطحبته معها إلى شقتها.. واعترف ماريو أن هذه الراقصة كانت أول من دفعه والخطوة الأولى نحو حبل المشنقة.. ويقول في اعترافاته التفصيلية.. في تلك الليلة شربت كثيراً وكلما رأيت جسد الراقصة المثير يرتعش أمام الزبائن ترتعش في جسدي خلجات الرغبة، وبعدما انتهت من فقراتها الراقصة في أربعة كباريهات.. عدنا إلى شقتها في المهندسين وبدلاً من أن أنام أو أذهب لشقتي حيث تنتظرني تغريد.. وجدتني أطوق خصرها بشدة وأطلب منها أن ترقص لي وحدي، فأبدلت ملابسها وعادت لي بلباس الرقص الشفاف الذي سلب عقلي وأفقدني الصواب.

وذهبت الي تغريد التي وجدتها تشتاق إلى جيوبي قبلما تشتاق إلي .. فافتعلت مشاجرة معها وعدت ثانية إلى الراقصة التي استقبلتني بفرحة .. ومنذ ذلك اليوم وأنا لا أكاد أفارقها أو أبتعد عنها لأواصل عملي في الورشة.

لقد استعنت ببعض الصبية الذين دربتهم على القيام بالعمل بدلاً مني.. فكنت أتغيب لعدة أيام في القاهرة وأعود لأجمع ما ينتظرني من مال لديهم.. وسرعان ما أرجع لأنفقه على الداعرات والراقصات.. ونساء يبعن بناتهن ورجال يبيعون لحم زوجاتهم من أجل جنيهات قليلة.

ولأن للفلوس مفعول السحر فقد كنت أعامل كملك.. لأنني أصرف ببذخ على من يحطن بي من فتيات ونساء أشبعنني تدللاً . . وصورني كأنني الرجل الأول لديهن، فأطلقت يدي ومددتها إلى مدخراتي في البنك شيئاً فشيئاً حتى أصبح رصيدي صفراً وتحولت الورشة إلى خرابه بعدما سرق الصبيان أدواتها وهرب منها الزبائن.. حاولت أن أثوب إلى رشدي وكان الوقت قد فات، وخسرت سمعتي بعدما خسرت نفسي.. وأصبحت مصاريف وجيدة وتغريد تمثل عبئاً قاسياً على نفسي وأنا الذي لم يعضني الجوع أو تثقلني الحاجة من قبل.. فتأملت لحالي وقررت أن أخطو خطوة سريعة إلى الأمام.. وإلا فالمستقبل المجهول ينتظرني والفقر يسعى ورائي بشراسة ولا أستطيع مجابهته.

استخرجت جواز سفر وحصلت على عناوين لبعض زبائني القدامى في إيطاليا وركبت السفينة الإيطالية "ماركو" إلى نابولي.. وبعدما رأيت أضواء الميناء تتلألأ على صفحة المياه صحت بأعلى صوتي تشاو .. تشاو نابولي. وفي بنسيون قديم وقف أمامه صاحبه العجوز سألته هل زرت مصر من قبل؟ فقال الرجل لا.. ضحكت وقلت له أنني رأيتك في الإسكندرية منذ سنوات فجاءتني زوجته تسبقها حمم من الشتائم قائلة: ماذا تريد أيها المصري من زوجي؟ أتظن أنك فهلوي؟ انتبه لنفسك وإلا . . ففي نابولي يقولون: إذا كان المصري يسرق الكحل من العين.. فنحن نسرق اللبن من فنجان الشاي.

وكان استقبالاً سيئاً في أول أيامي في إيطاليا.. في اليوم التالي حاولت أن أتعرف على السوق وبالأخص أماكن بيع قطع الغيار المستعملة.. ولكن صديقاً إيطالياً توصلت إليه أخبرني أن في "ميلانو" أكبر أسواق إيطاليا للسيارات القديمة والمستعملة.. وثمنها يعادل نصف الثمن في نابولي.. فاتجهت شمالاً إلى روما وقطعت مئات الكيلو مترات بالقطار السريع حتى ميلانو.. وبالفعل كانت الأسعار هناك أقل من نصفها في نابولي.. والتقيت في ميلانو بأحد زبائني القدامى الذي سهل لي مهمتي.. ولفت انتباهي إلى أماكن بيع منتجات خان الخليلي في ميلانو بأسعار عالية.

ابتعت طلباتي من قطع غيار سيارات الفيات ١٢٥ غير المتوافرة في السوق المصرية وعدت إلى الإسكندرية وخرجت من الجمرك بما معي من بضائع بواسطة زبائني الذين يعملون في الدائرة الجمركية.. وقمت ببيع قطع الغيار بأضعاف ثمنها وذهبت إلى خان الخليلي واشتريت بعضاً من بضائعه وسافرت مرة ثانية إلى إيطاليا.. واعتدت أن أنزل ببنسيون "بياتريتشي" في روما ثم أتجه إلى ميلانو لعدة أيام .. أنجز خلالها مهمتي وأعود ثانية إلى روما ونابولي ثم إلى الإسكندرية.

اعتدت السفر كثيراً وبدأت الأموال تتدفق بين أصابعي من جديد.. واتسعت علاقاتي بإيطاليين جدد بالإضافة للأصدقاء القدامى الذين يكنون لي كل الود.. وفي ذات مرة وبينما كنت في خان الخليلي أنتقي بعض المعروضات التي أوصاني صديق إيطالي بشرائها.. سألتني فتاة تبيع في محل صغير عما أريده .. وساعدتني في شراء بضائع جيدة بسعر رخيص وتكررت مرات الذهاب للشراء بواسطتها ولما عرفت أنني أسافر الي إيطاليا بصفة مستمرة عرضت علي أن تسافر معي ذات مرة. . لتشتري سيارة فيات مستعملة لتشغيلها تاكسياً في القاهرة.

واطمأنت "زينب" وهذا هو اسمها – عندما أخبرتها أنني أعمل ميكانيكياً وأقوم بالإتجار في قطع الغيار.. وتركتها لتجمع المبلغ المطلوب ثم أرسل لها من إيطاليا لأنتظرها هناك.

أراد أصدقائي الإيطاليين أن أظل بينهم وأمارس عملاً ثابتاً أحصل بمقتضاه على إقامة في إيطاليا.. وقد كان.. إذ سرعان ما وجدوا لي عملاً في شركة "راواتيكس".. وبعدما حصلت على تصريح عمل وإقامة.. لم تتوقف رحلاتي إلى الإسكندرية.. فالمكسب كان يشجع على السفر بصفة مستمرة لكي أعرف احتياجات سوق قطع غيار السيارات في مصر.. والذي كان يمتصها بسرعة فائقة.

وفي إحدى هذه السفريات وبينما كنت في مطار روما تقابلت بالصدفة مع صديق إيطالي قديم – يهودي – كانت بيننا "عشرة" طويلة واسمه "ليون لابي" فتبادلنا العناوين، وبعد عدة أيام جاءتني مكالمة تليفونية منه وتواعدنا للقاء في مطعم مشهور في ميلانو.

أشفق "لابي" كثيراً على حالي بعدما شرحت له ظروفي وتعثراتي المالية وزواجي من امرأتين .. وسألته أن يتدبر صفقة تجارية كبيرة أجني من ورائها أموالاً طائلة.. فضحك "لابي" وقبل أن يقوم لينصرف ضربني على ظهر يدي وقال لي: "لا تقلق ماريو.. غداً سأجد لك حلاً، لا تقلق أبداً".

الوقوع في المصيدة

في اليوم التالي وفي الثامنة مساء وقفت مرتبكاً للحظات أمام الباب المغلق.. ثم نزلت عدة درجات من السلم وأخرجت علبة سجائري وأشعلت سيجارة.. وعندئذ سمعت وقع خطوات نسائية بمدخل السلم فانتظرت متردداً.. وعندما رأيت الفتاة القادمة كدت أسقط على الأرض.. كانت هي بنفسها الفتاة التي واقعتها في شقة "لابي" لكن ابتسامتها حين رأتني مسحت عني مظاهر القلق وهي تقول: بونجورنو.. فرددت تحيتها بينما كانت تسحبني لأصعد درجات السلم ولازالت ابتسامتها تغطي وجهها وقالت في دلال الأنثى المحبب: - أنا لم أخبر سنيور لابي بما حدث منك.. قلت في ثقة الرجل: لماذا؟ ألم تهددني بالانتحار من النافذة؟ .. بهمس كأنه النسيم يشدو: أيها الفرعوني الشرس أذهلتني جرأتك ولم تترك لي عقلاً لأفكر.. حتى أنني كنت أحلم بعدها بـ "أونالترا فولتا"، لكنك هربت!! قلت لها: ياليتني فهمت ذلك. وانفتح الباب وهي تقول:

هل ترفض دعوتي على فنجان من القهوة الإيطالية؟ ووجدت نفسي في صالة القنصلية الإسرائيلية والفتاة لا زالت تسحبني وتفتح باب حجرة داخلية لأجد "لابي" فجأة أمامي.. قام ليستقبلني بعاصفة من الهتاف: ميو أميتشو.. ماريو.. أهلاً بك في مكتبك. وهللت الفتاة قائلة: تصور.. تصور سنيور لابي أنه لم يسألني عن اسمي؟ قهقه لابي واهتز كرشه المترهل وهو يقول بصوت جهوري: شكرية.. شكرية بالمصري سنيور ماريو تعني: جراتسيللا.. واستمر في قهقهته العالية وصرخت الفتاة باندهاش: أيكون لاسمي معنى بالعربية؟ اشرحه لي من فضلك سنيور ماريو.. وكانت تضحك في رقة وهي تردد: شوك . . ريا . . شوك . . ريا . جراتسيللا شوك .. ريا.

ولم يتركني لابي أقف هكذا مندهشاً فقال للفتاة: أسرعي بفنجانين من الـ "كافيه" أيتها الكافيتييرا جراتسيللا.. واستعرض لابي في الحديث عن ذكرياته بالإسكندرية قبل أن يغادرها الي روما في منتصف الخمسينيات.. وأفاض في مدح جمالها وشوارعها ومنتزهاتها.. ثم تهدج صوته شجناً وهو يتذكر مراتع صباه وطال حديثنا وامتد لأكثر من ساعتين بينما كانت سكرتيرته الساحرة جراتسيللا لا تكف عن المزاح معي وهي تردد: شوك . . ريا .. سنيوريتا شوك . . ريا . . وعندما سألتني أين أقيم فذكرت لها اسم الفندق الذي أنزل به. . فقالت وكأنها لا تسكن ميلانو: لم أسمع عن هذا الفندق من قبل.. رد لابي قائلاً: إنه فندق قديم غير معروف في الحي التاسع "الشعبي".

قالت في تأفف: أوه . . كيف تقيم في فندق كهذا؟ قال لابي موجهاً كلامه اليها: خذيه إلى فندق "ريتزو" وانتظراني هناك بعد ساعتين من الآن.. وربت لابي على كتفي في ود وهو يؤكد لي أنه يحتاجني لأمر هام جداً لن أندم عليه وسأربح من ورائه الكثير.

وركبت السيارة إلى جوار جراتسيللا فانطلقت تغني أغنية "بالوردو بيلفا" أي "أيها الوحش الضاري" وفجأة توقفت عن الغناء وسألتني: هل تكسب كثيراً من تجارتك يا

ماريو؟ قلت لها: بالطبع أكسب . . وإلا . . ما كنت أعدت الكرة بعد ذلك مرات كثيرة. .

- كم تكسب شهرياً على وجه التقريب؟
- حوالي ستمائة دولار.. قالت في صوت مشوب بالحسرة
- وهل هذا المبلغ يكفي لأن تعيش؟ إن لابي يشفق لحالك كثيراً سنيور ماريو.
- سنيور لابي صديقي منذ سنوات طويلة .. وأنا أقدر له ذلك.
- إنه دائماً يحدثني عن الإسكندرية .. له هناك تراث ضخم من الذكريات.!!

وفي فندق ريتز.. صعدنا إلى الطابق الثاني حيث حجزت لي جراتسيللا جناحاً رائعاً وبينما أرتب بعض أوراقي فوجئت بها تقف أمامي في دلال وبإصبعها تشير لي قائلة: "أونالترا فولتا" أيها المصري وهذه المرة "للإيطاليا نيتا".. "محبة الوطن الإيطالي".. وغرست أظافرها بجسدي بينما كنت أرتشف عبير أنوثتها وأتذوق طعمها الساحر وكانت لا تكف عن الهتاف: ليوباردو.. ليوباردو.. ماريو إيجتسيانو.

وعندما جاء لابي كان من الواضح أننا كنا في معركة شعواء انتهينا منها تواً.. أخرج من جيبه مظروفاً به خمسمائة دولار وقال لي إنه سيمر علي صباح الغد.. وأوصاني أن أنام مبكراً لكي أكون نقي الذهن.. وانصرفا بينما تملكتني الأفكار.. ترى ماذا يريد مني؟ وما دخلي أنا فيما يريده لابي؟؟ وفي العاشرة والنصف صباحاً جاء ومعه شخص آخر يتحدث العربية كأهلها اسمه "ابراهيم".. قال عنه لابي إنه خبير إسرائيلي يعمل في شعبة مكافحة الشيوعية في البلاد العربية.. رحب ابراهيم بماريو وقال له بلغة جادة مفعمة بالثقة:

إسرائيل لا تريد منك شيئاً قد يضرك.. فنحن نحارب الشيوعية ولسنا نريدك أن تخون وطنك.. مطلقاً.. نحن لا نفكر في هذا الأمر البتة.. وكل المطلوب منك.. أن تمدنا بمعلومات قد تفيدنا عن نشاط الشيوعيين في مصر وانتشار الشيوعية وخطرها على المنطقة.

وأردف ضابط المخابرات الإسرائيلي: كل ذلك لقاء ٥٠٠ دولار شهرياً لك. وعندما أوضحت له أنني لا أفهم شيئاً عن الشيوعية أو الإشتراكية.. وأنني أريد فقط أن أعيش في سلام. ذكرني لابي بأحوالي السيئة بالإسكندرية والتي أدت إلى تشتتي هكذا بعدما كنت ذا سمعة حسنة في السوق. واعتقدت أنني يجب ألا أرفض هذا العرض.. فهي فرصة عظيمة يجب استغلالها في وسط هذا الخضم المتلاطم من الفوضى التي لازمتني منذ أمد.. وتُهدد استقرار حياتي.

الحصار في روما

عندما تسلمت زينب الرسالة الوافدة من إيطاليا، لم تكن تصدق أن يهتم بها هذا العابر المجهول إلى هذا الحد.. كانت قد نسيته بعدما مرت عدة أشهر منذ التقت به في خان الخليلي حيث تعمل بائعة في محل للأنتيكات والتحف.. وبعدما تردد عليها عدة مرات عرضت عليه السفر معه إلى إيطاليا لتشتري سيارة لتشغيلها سيارة أجرة في القاهرة .. فوعدها بأن يساعدها ثم اختفى فجأة ولم يعد يذهب إليها.. حتى جاءتها رسالته تحمل طابع البريد الإيطالي وعنوانه وتليفونه هناك.. أسرعت زينب بالخطاب إلى خالها الذي يتولى أمرها بعد وفاة والديها، ولكنه عارض الفكرة وعندما رأى منها إصراراً رضخ للأمر ووافقها.. سنوات وزينب تحلم بالسفر إلى الخارج للعمل.. لقد بلغت الرابعة والعشرين من عمرها، ولم ترتبط بعد بعلاقات عاطفية تعوق أحلامها.. لذلك تفوقت في دراستها بكلية الآداب - جامعة عين شمس وعشقت اللغة الإنجليزية عشقاً كبيراً.. والتحقت بعد الجامعة بالعمل في خان الخليلي بالقرب من بيتها في شارع المعز لدين الله بحي الجمالية.. حيث مسجد الحسين ورائحة التاريخ تعبق المكان وتنتشر على مساحة واسعة من الحي القديم العريق.

حجزت زينب تذكرة الطائرة ذهاباً وإياباً على طائرة مصر للطيران.. وبحقيبتها كل ما لديها من مال وفرته لمثل هذه الفرصة.. وفي مطار روما كان ماريو بانتظارها يملؤه الشوق لأول الضحايا الذين سيجندهم للعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية.. وعندما رأته

كانت كمن عثر على شيء ثمين.. إذ صدمتها اللغة الإيطالية التي لا تعرف منها حرفاً واحداً.. وسرت كثيراً عندما وجدت ماريو يتحدث بها "كالطليان" أصحاب البلد.

اصطحبها إلى فندق رخيص في روما ثم تركها لتستريح وذهب هو إلى مسكنه ليرتب خطة تجنيدها التي رسم خطوطها عدة مرات.. وفي الصباح ذهب إلى الفندق حيث كانت الفتاة تنتظره فأخذها في جولة رائعة بسيارته لمنتزهات روما وأماكنها السياحية.. ثم ذهب بها في اليوم التالي إلى أماكن بيع السيارات المستعملة.. معتمداً أن يرفع لها أسعار السيارات مستغلاً جهلها باللغة الإيطالية. . واعتمادها عليه أولاً وأخيراً. وتعمد أيضاً أن تطول مدة إقامتها في روما للبحث عن فرصة شراء سيارة أفضل وأرخص وأقنعها بشراء فيات ١٢٥ دفعت فيها معظم ما تملكه من مال.. وما تبقى معها كان يكفي بالكاد مصاريف الشحن إلى الإسكندرية.

وصدمت الفتاة بعدما تبين لها أن فاتورة الفندق امتصت النصيب الأكبر من نقودها.. ولم تعد تملك مصاريف الشحن كاملة.. لقد خدعها ماريو عندما ذكر لها أرقاماً تقل بكثير الحقيقة عند شحن السيارة.. تركها ماريو لعدة أيام دون أن يتصل بها بحجة أنه كان في ميلانو.

وبكت زينب في حرقة وهي تحكي له عن حالها.. وكيف إنها لم تعد تملك أية أموال لتعود إلى مصر بالسيارة الواقفة أمام الفندق ومتوسلة أن يساعدها فوعدها بذلك.. ومرت ثلاثة أيام أخرى كانت زينب قد باعت حليها ولم تتبق معها سوى ساعة يدها الجوفيال التي لا تساوي شيئاً يذكر.. حاصرها ماريو جيداً وأفقدها التفكير واستعمل معها أسلوب "صيد الغزلان" بأن أغلق أمامها كل الطرق.. وترك لها فتحة ضيقة لتنفذ منها إلى شبكته لتقع فيها ولا تخرج.

وظهر لها فجأة بعد غياب عدة أيام معتذراً بشدة.. واصطحبها للعشاء بأحد المطاعم الراقية.. وبعد أن جلسا عزفت الموسيقى مقطوعة إيطالية شهيرة عنوانها "مولتي جراتسي ميو أميتشو" أي "شكراً جزيلاً يا صديقي" فقالت زينب لماريو: طلبت منك قرضاً أرده لك في مصر فلم تجبني.. اعتدل ماريو في مقعده وقال بسرعة: نعم .. نعم .. لا مشكلة

إذن .. بعد غد سأتولى شحن سيارتك إلى الإسكندرية. ولِم بعد غد؟ مشغول أنا غداً.. ولا أملك وقتاً مطلقاً "قالها ماريو وتعمد ألا ينظر لوجهها".. لقد وعدتني أن تدبر لي عملاً هنا في روما.. فإن ذلك سيعفيك من إقراضي أية أموال.. ماذا تقولين؟ ألم أخبرك أنني أبحث بالفعل عن عمل مناسب لك؟ أنت تقول "قالتها زينب مليئة بالحسرة والإحساس بالندم" فما كان من ماريو إلا أن أجاب: عموماً.. بعد غد ستكون سيارتك على ظهر السفينة.. أفهمت؟ وفي تلك اللحظة.. اقترب منها رجل وسيم تعدى الخمسين بقليل وقال بالإنجليزية بأدب جم: أتسمحان لي بأن أطلب من إدارة المطعم إغلاق جهاز التكييف الحار حتى لا نصاب جميعاً بالبرد عند الخروج؟ ردت زينب في حماس بالغ ممزوج بالعرفان: تفضل.. وشكراً يا سيدي أردف الرجل قائلاً: معذرة.. هل أنت تونسية؟ أجابته بأن لكنتها تدل على ذلك وضحكت وقالت في افتخار: أنا من الجمهورية العربية المتحدة.. من القاهرة. هتف الرجل سعيداً: أوه.. ناسر يا له من زعيم عبقري.. وفي حركة مسرحية سريعة مد الرجل يده الي محفظته.. وأخرج منها صورة لعبد الناصر يشرب من "القلة" ويجلس على الأرض بجوار صلاح سالم وأردف قائلاً: تمنيت أن أراه وأصافحه ذات يوم.. فهل يتحقق لي ذلك؟ تعال إلى القاهرة يا سيدي وأعتقد أن ذلك ليس بالشيء الصعب.. هكذا قالت زينب بفخر، وهي تتكلم الإنجليزية بطلاقة، وتكلم ماريو يخاطب الرجل بالإيطالية: أنتم تكرهون ناصر في الغرب.. وفي الشرق تتوقف الحياة تماماً حينما يتكلم.. تناقض غريب.

أجاب الرجل في بشاشة: نعم يا سيد.. ؟ ماريو.. ماريو إيجتسيانو "ماريو المصري". نعم.. نعم سنيور ماريو هذه حقيقة لا ننكرها.. فمنذ أزمة القناة والغرب لا ينسى ذلك لناصر أبداً.

واعترضت زينب على حوارهما بالإيطالية فقال لها ماريو إن لغته الإنجليزية ضعيفة جداً..

وجاءت فاتورة الحساب ففوجئت زينب بالرجل الغريب يصر على دفعها.. وعندما تمسك ماريو برأيه قال الرجل: إذن.. هلا قبلتما دعوتي على العشاء غداً؟ أجاب ماريو

موافقاً بينما تحرجت زينب ثم فاجأهما ماريو بإعلان اعتذاره لارتباطه طوال الغد.. فأبدى الرجل الأنيق تفهمه ونظر إلى زينب فتراجعت الكلمات على لسانها.. عندها لم يمهلها وقتاً طويلاً لتفكر وقال موجهاً حديثاً إليها أنه سيلتقي بها في الثامنة مساء الغد في مطعم "فريسكو".. فقالت زينب في اضطراب "بعدما نظر اليها ماريو موافقاً" إنها لا تعرف الأماكن جيداً.. وبدأ الرجل سيلاً من الأسئلة عن جوانب حياتها فأجابته زينب بحسن نية وأخيراً قال لها في دبلوماسية شديدة تدل على خبرة عالية في إدارة حوار: لقاء الغد ستترتب عليه أشياء كثيرة مهمة لكلينا.. !! وبعد إنتهاء السهرة صحبهما بسيارته الفارهة وأنزل زينب أمام فندقها وانصرف.

وقضت هي وقتاً طويلاً تفكر فيما يقصده بعبارته الأخيرة.. وماذا سيترتب عليها من أشياء مهمة؟؟ وفي مساء اليوم التالي كان في انتظارها بردهة الفندق كما اتفقا بالأمس.. وأخذها في جولة ليلية بنوادي روما وشوارعها ثم ذهبا معاً إلى مطعم فريسكو الشهير .. حيث الأنواع الغريبة من الأسماك والمحار وكائنات بحرية مدهشة.

كان الرجل قد التمس مكاناً هادئاً في ركن بعيد وتوقعت زينب بأنه من زبائن المطعم المعروفين، للإحترام الجم الذي قوبل به.. ولكنه انتشلها من حيرتها وقال لها بحرارة: آنسة زينب.. منذ الأمس وأنا في حيرة شديدة.. وكما تعلمين فأنا رجل أعمال بريطاني معروف.. والذي لا تعرفينه أنني انفصلت عن شريك لي منذ مدة قصيرة.. وكنت أنوي توسيع أعمالي في لندن لكن أشار علي البعض باستثمار مشاريع إنمائية في جنوب أفريقيا.. وقمت بالفعل بالسفر إلى جوهانسبرج وزيارة كيب تاون وحصلت على بعض تقارير اقتصادية لتساعدني في اتخاذ قراري.. حتى كان لقاء الأمس الذي سبب لي حيرة شديدة فبرغم حبي لناصر إلا أنني لم أفكر من قبل في السفر إلى القاهرة لدراسة السوق المصرية وإقامة بعض مشروعاتي بها.. وتنهد الرجل فيما يشبه إحساساً بالندم وأردف: إنني الآن – وبإصرار وثقة – أريد اقتحام السوق العربية من خلال مصر.. ومن خلالك أنت.. قالت له زينب في دهشة: من خلالي أنا؟ نعم.. فأنت مصرية وجامعية طموحة.. تملكين اللغة العربية والإنجليزية والثقافة.. ويمكنني

الاعتماد عليك في إعداد تقرير اقتصادي عن أحوال مصر الاقتصادية ومشاكل التنمية بها ومعوقات السوق. ومن خلال هذا التقرير سأقرر ما إذا كنت أستطيع إقامة مشاريع إنمائية في مصر من عدمه.. ولذلك فهذا الأمر مهم بالنسبة لي ولك.. لأنك ستكونين مديرة لفرع القاهرة وتملكين حق اتخاذ قرارات لصالح مؤسستنا.

انفرجت أسارير زينب وهللت بشراً وسعادة لهذا الخبر المنهمر الذي أغدق عليها فجأة.. كانت تجلس أمامه ولا تملك بحقيبة يدها سوى ستة وعشرين دولاراً وبضع ليرات إيطالية لا تكفي ليوم آخر في روما.. واغرورقت عيناها بدموع الفرح عندما فاجأها قائلاً: ومنذ اليوم سيكون راتبك ثلاثمائة دولار شهرياً.. صرخت بأعماقها لا تصدق أن غيمة النحس قد انقشعت.. وأن الحياة عادت لتضحك من جديد.. لقد مرت بها سنوات من الجوع والحرمان والحاجة.. وكلما ارتقت درجة من درجات الأمل انزلقت إلى الوهم وأحلام الخيال.. الآن جاءت أحلام الواقع لتزيح أمامها الأوهام فتتراجع القهقري.

كانت تبدو من قبل وكأنها تغرق في لجج من ماء ذي قوام.. الآن تطير في سماوات من الصفو اللذيذ.. أخيراً تحقق الحلم الذي طال انتظار اليتيم له.. حلم ليس بالمستحيل ولكنه كان المستحيل نفسه.. يا الله.. قالتها زينب وهي تتنهد فتغسل صدرها الصغير من تراكمات اليأس وخيوط الرجاء.

أوصلها الرجل إلى الفندق بعدما منحها ٦٠٠ دولار مرتب شهرين ودفع عنها حساب الفندق.. وفوجئت زينب بماريو يسرع بشحن سيارتها ودفع مصاريفها ويودعها بالمطار.. وفي مقعدها بالطائرة أغمضت عينيها وجلست تفكر في أمر ماريو.. لقد أخبرته بأمر الرجل فأظهر موافقته.. وبرغم كونه تاجراً لم يأخذ منها مصاريف الشحن.. بل ألح عليها كثيراً لكي تأخذ منه مائة دولار في المطار.. وسلمها حقيبة هدايا بها علبة ماكياج كاملة وزجاجتا بارفان وحزام جلدي أنيق.

تشككت زينب في هذه الأمور وأخذت من جديد تستعرض شريط ما مر بها في روما.. وتذكرت الدورة الإرشادية التي حضرتها في أحد مدرجات جامعة القاهرة قبل سفرها بأيام.

كان المحاضر يشرح أساليب الموساد في اصطياد المصريين في الخارج.. ولأن ماريو مصري مثلها ومجريات الأمور كلها كانت شبه طبيعية.. فقد طردت وساوسها التي تضخمت إلى حين.. وقررت أمراً في نفسها.. وفي مطار القاهرة انتحت بأحد الضباط جانباً وسألته سؤالاً واحداً.. وفي اليوم التالي.. كانت تستقل سيارة صحبتها إلى مقر جهاز المخابرات المصرية.. قالت كل شيء بدقة وسردت تفاصيل رحلتها إلى إيطاليا وكيف خدعها ماريو لتنفق كل ما لديها من نقود.. وحكت ظروفها النفسية السيئة التي مرت بها وكيفية تقرب رجل الأعمال البريطاني منها في تلك الظروف.. وكيف شحن ماريو سيارتها إلى الإسكندرية على نفقاته.. وهو التاجر الذي يسعى للكسب.. ؟ بل إنه عرض عليها مائة دولار أخرى.. ولماذا لم يعطها رجل الأعمال عنوانه في بريطانيا لتراسله وتبعث اليه بالتقارير التي طلبها؟ لقد أخبرها أن ماريو سيسافر إلى القاهرة عما قريب وعليها أن تسلمه التقرير الاقتصادي الوافر الذي ستعده عن مصر.

وتذكرت زينب أيضاً كيف أن ماريو طلب منها في المطار أن تهتم جيداً بالعمل الذي أوكل إليها ولا تهمله.. وعندما سألته هل لديك عنوان مكتب رجل الأعمال ؟!! أجاب بنعم في حين أنه من المنطقي أن يكون معها عنوانه.

لقد سلمها ٦٠٠ دولار وهي بلا شك لقاء قبولها التجسس على وطنها..

صراع العقول

وفوجئت زينب بما لم تتوقعه على الإطلاق.. صور عديدة لها مع ماريو.. قال ضابط المخابرات المصري أن المخابرات العربية على علم بأمره.. وتراقب تحركاته وتنتظر دليل إدانته وقال لها أيضاً: إن إسرائيل منذ قيامها في عام ١٩٤٨ وهي تسعى بشتى السبل لمعرفة كل ما يجري في البلاد العربية من نمو اقتصادي وتسلح وما لديها من قوات وعتاد.. ولذلك لجأت لشراء ضعاف النفوس والضمائر وجعلتهم يعملون لحسابها.. وينظمون شبكات التجسس المتعددة في العواصم العربية.. حتى إذا كشفت واحدة تقوم الأخرى مكانها وتتابع نشاط جواسيسها.. وتتفق إسرائيل الملايين على هذه الشبكات للصرف عليها.. وأن السبب الرئيسي لسقوط بعض الأفراد في مصيدة المخابرات

الإسرائيلية هو ضعف الحالة المادية.. وبالإضافة إلى الأموال الطائلة التي تنفقها الموساد على عملائها.. فإنها تغرقهم أيضاً في بحور الرغبة وتشبع فيهم نزواتهم.. وبذلك تتم له السيطرة عليهم.. لذا.. فقد أعلنت المخابرات المصرية في يناير عام ١٩٦٨ بأنها ستساعد كل من تورط مع العدو.. ووقع في فخ الجاسوسية بالإغراء أو التهديد.. وأنها على استعداد للتغاضي عن كل ما أقدم عليه أي مواطن عربي.. إذا ما تقدم بالإبلاغ عن تورطه مع الموساد مهما كان منغمساً في التجسس.. وذلك لتفويت الفرصة على المخابرات الإسرائيلية.. ووعد الزعيم جمال عبد الناصر صراحة بحماية كل من تورط بالتجسس لأي سبب.

وقد أسفرت هذه الخطة عن تقدم سبعة مصريين إلى جهاز المخابرات المصرية يعترفون بتورطهم ويشرحون ظروف سقوطهم.. وأضاف الضابط: لقد تكلمنا مع ماريو عدة مرات من قبل.. وأفهمناه بطريقة غير مباشرة بأننا على استعداد لمساعدة المتورطين دون أن يعاقبوا.. لكن يبدو أنه استلذ أموال الموساد.. وسيسقط على يديك يا زينب لأننا سنحصل على دليل إدانته من خلالك.. ووضعت المخابرات المصرية خطة محكمة لاصطياد ماريو.. وفي أول اتصال هاتفي من روما بعد أيام من وصولها.. أخبرته زينب بأنها مشغولة "بترجمة الكتاب" – وهو مصطلح سبق لهما أن اتفقا عليه – وعندما سألها عن المدة التي تكفي لإنجاز "الترجمة" لأنه ينوي المجيء لمصر بعد يومين طلبت منه – حسب الخطة – أن يتأخر عدة أيام حتى تنجز العمل.

اطمأن ماريو وصديقه لردود زينب.. وقنعا بأنها منهمكة في إعداد التقرير.. فلو أن هناك شيء ما يترتب في الخفاء لما ترددت في إيهامه بأنها أنجزت ما طلب منها.. وفي مكالمة أخرى بعدها بثمانية أيام.. زفت النبأ الذي ينتظره.. وينتظره أيضاً رجال الموساد في روما.. وعلى ذلك أكد لها بأنه سيصل إلى القاهرة عما قريب.

سقوط الجاسوس "ماريو "

وبعد اللقاء المسجل بالصوت والصورة.. اتجه الخائن إلى شارع نوال بالدقي حيث شقة زوجته تغريد.. فمكث معها يوماً واحداً وحمل كاميرته الخاصة التي تسلمها من

الموساد وركب إلى الإسكندرية بالطريق الزراعي.. يصور المنشآت الجديدة التي تقوم على جانبي الطريق.. ويراقب أية تحركات لمركبات عسكرية أو شاحنات تحمل المدرعات.. وأمضى مع زوجته وجيدة عدة ساعات ثم عاد إلى القاهرة مرة ثانية بالطريق الصحراوي.. وكرر ماريو هذا السيناريو لمدة أسبوع بشكل متصل.. كان إخلاصه للموساد قوياً كعقيدة الإنسان أو إيمانه بمبدأ ما.. فآلاف الدولارات التي حصل عليها من الموساد بدلت دماءه وخلايا مصريته وأعمته عن عروبته.. وجعلت منه كائناً فاقد الهوية والشعور.. بل كان لأموال إسرائيل الحرام فعل السحر في قلبه وزعزعة ثوابت إسلامه.. فلقد نسي أن اسمه محمد ابراهيم فهمي كامل.. مسلم.. من مصر.. وأن ماريو ليس اسمه الحقيقي الذي ينادى به.. وفي إيطاليا كثيراً ما مر على مساجد روما – دون قصد – فكان يتعجب ويتساءل: ماذا يعني الدين والأنبياء والرسل؟ وعندما اتصلت به معشوقته جراتسيللا – عميلة الموساد – تستقصي أخباره وأخبار ضحيته زينب أجابها بأن كل شيء على ما يرام.

وحدد لها ميعاد سفره إلى إيطاليا.. وبعدما أنهت زينب إجراءات الإفراج الجمركي عن سيارتها.. استعدت "هكذا ادعت له" للسفر معه.. فأخبرها بموعد الطائرة وأنه سيمر عليها ليصحبها إلى المطار.. وقبل السفر بعدة ساعات كان ماريو قد أعد أدواته.. وخبأ الأفلام التي صورها بجيوب سرية داخل حقائبه ونزع البطانة الداخلية لها وأخفى التقارير السرية التي أعدها بنفسه ثم أعاد إلصاقها مرة ثانية بإحكام فبدت كما كانت من قبل.

ومن بين تلك التقارير كان تقرير زينب الذي كان لدى المخابرات المصرية صورة عنه.. وبينما كان ماريو يغادر منزله بالدقي في طريقه إلى زينب ثم إلى المطار.. فوجئ بلفيف من الأشخاص يستوقفونه.. وأقتيد إلى مبنى المخابرات وأمام المحقق أنكر خيانته لكن الأفلام والتقارير التي ضبطت كانت خير دليل على سقوطه في وكر الجاسوسية.. فاعترف مذهولاً بعمالته للموساد.. وأمام المحكمة العسكرية وجهت إليه الجرائم الآتية: الحصول على أسرار عسكرية بصورة غير مشروعة وإفشاؤها إلى المخابرات الإسرائيلية.. الحصول على مبلغ "٧ آلاف دولار" مقابل إفشاء الأسرار لدولة

معادية "إسرائيل".. التخابر مع العدو لمعاونته في الإضرار بمصر في العمليات الحربية.. تحريض مواطنة مصرية على ارتكابها التخابر.. والحصول على أسرار هامة بقصد إفشائها للعدو. وبرئاسة العميد أسعد محمود إسماعيل وعضوية المقدم فاروق خليفة والمقدم أحمد جمال غلاب بحضور ممثل النيابة العسكرية والمقدم عز الدين رياض صدر الحكم في مايو ١٩٧٠ بإعدام ماريو شنقاً بعد أن كرر الخائن اعترافه بالتجسس على وطنه.. مبيناً الأسرار العسكرية مقابل سبعة آلاف دولار.

وصدق رئيس الجمهورية على الحكم لعدم وجود ما يستدعي الرحمة بالجاسوس.. لم تنس المخابرات المصرية الدور الكبير الذي لعبته زينب للإيقاع بالخائن ماريو واصطياده إلى حيث غرفة الإعدام ومشنقة عشماوي في أحد سجون القاهرة.

وكانت زينب بالفعل – أول مصرية – تصطاد جاسوساً محترفاً في روما.. لإعدامه في القاهرة!!.